(٢١٤)

(طَقْطَاي بن مَنْكُوتمر
ابن سَابرخان بن جَنْكِزخان المغلي ملك التتار)

كان واسع المملكة جدّاً، وعساكره تفوت الحصر حتى يقال: إنه جهّز جيشاً فأخرج من كل عشرة واحداً فبلغوا مائتي ألف، كذا قال ابن حجر في الدرر الكامنة. وهذا شيء لم يسمع في جيش ملك من الملوك. وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة ٧١٢ اثنتي عشرة وسبعمائة. ولم يُسلم بل كان يحب المسلمين خصوصاً الفضلاء منهم ومن كل الملل، ويميل إلى الأطباء والسحرة. وأسلم ولده. ويقال: إن عرض مملكته ثمانية أشهر، وطولها سنة. قال بعضهم: وفيه عدل وميل إلى أهل الخير، وكان يحب الأطباء ومملكته واسعة جدّاً حتى يقال: ثمانمائة فرسخ في ستمائة فرسخ. وكان له ولد حسن الشكل، فأسلم وأحب القرآن وسماعه.

(٢١٥)

(طهماسب ملك بلاد العجم)

طارت أخباره إلى اليمن في وسط المائة الثانية عشرة من الهجرة، وأخبر عنه الأغراب بقوة باهرة وسلطنة عظيمة. ومُحصّل ما بلغ عنه حسبما نقله من أدرك تلك الأيام من أهل هذه الأرض أنه كان خادماً في بعض مشاهد الأئمة التي هنالك، ثم بعد ذلك خرج إلى بعض الأمكنة، ودعا جماعة من الناس إلى اتباعه فاتبعوه. وما زال أمره يظهر حتى استولى على ملك تلك الديار، وعلى سائر ممالك العجم، وعلى ممالك العراق. ثم لما تقرّر ملكه لها غزا بجيوش لا تحصى إلى بلاد الهند وكان ملكها إذ ذاك يقال له (مُحمَّد شاه) فتلقاه بجيوش عظيمة فوقع المصاف بين الجيشين، وتطاول أياماً وقتل في بعضها أمير أمراء ملك الهند، وكان من يليه في الرتبة من أمراء السلطان يطمع في أن يكون مكانه، فولَّى السلطان رجلاً آخر فخامر عليه ذلك الأمير وانخزل بطائفة من جنوده إلى طهماسب فضعف بذلك السبب سلطان الهند. ثم سعى ذلك الأمير في الصلح بين الملكين فتواعدا للاجتماع إلى مكان عيَّناه فسبق إليه سلطان الهند ثم وصل طهماسب فقعد ونظر إلى سلطان الهند وهو يشرب التنباك ولحيته محلوقة فأنكر عليه ذلك ووبخه. ثم تمَّ الصلح على أن يدخل طهماسب بجيوشه إلى مدينة السلطان، وهي مدينة عظيمة تسمى «ني خور» ويكون أهلها في أمان، ويعود سلطان الهند معه مكرماً ويبقى في مملكته، فدخلا تلك المدينة. ولما حضرت صلاة الجمعة خاف أهل الهند أن يُغيِّر طهماسب رسومهم في الخطبة إلى رسوم العجم فلم

يفعل بل تركهم على حالهم ففرحوا بذلك. وكان جيشه منتشراً في جميع المدينة نازلين مع أهلها، فكان أوباش الهند إذا ظفروا بواحد من جيوش طهماسب قتلوه غيلة وأفنوا بهذا السبب جماعة كثيرة. فبلغ السلطان طهماسب ذلك فبحث عنه وتفقد أصحابه ففقد كثيراً منهم، فأمر جيوشه بقتل أهل المدينة، فما زالوا يقتلون من وجدوه في ثلاثة أيام حتى بلغ القتلى من الهند زيادة على مائة ألف. ثم أمرهم بعد اليوم الثالث برفع السيف، ونادى بالأمان وصادر أهل المدينة واستخرج ما معهم من الأموال وأخذ من خزائن سلطانهم ما أحب أخذه، ثم ارتحل وقد دوّخ بلاد الهند وصار سلطانها المذكور نائباً له فيها، وعاد إلى بلاده. ثم عزم على الغزو إلى مصر والشام والروم وقد خافته الملوك وأيقنوا بأنه لا طاقة لهم به فكفى اللّه شرّه ودفع عن المسلمين ضرّه وسلط عليه جماعة من غلمانه تواطؤوا عليه فقتلوه وهو على فراشه. وكانت مدة ملكه تسع سنين. هذا حاصل ما علق بحفظي من أخبار من أخبرنا عن أخبار من أخبرهم في تلك الأيام من الغرباء الواصلين إلى هذه الديار. ثم وصل إلى صنعاء (السيد إبراهيم العجمي الحكيم) وكان أبوه من جملة الأطباء لطهماسب وذكر لنا من أخباره غرائب وعجائب، وأخبرنا أنه كان في ابتداء أمره سايساً من سُوّاس الجمال، وكان عظيم الخلقة قوي البدن، فاتفق أن ملك الهند غزا بلاد العجم وكان سلطانها إذ ذاك مشتغلاً باللهو والبطالة، فما زال سلطان الهند يفتحها إقليماً بعد إقليم، ومدينةً بعد مدينة، حتى لم يبق إلا المدينة التي فيها سلطان العجم، وسلطان العجم مشتغلٌ بما هو فيه من البطالة. ثم التجأ سلطان العجم إلى بعض المشاهد المعتقد فيها في تلك المدينة خوفاً من صاحب الهند، فلما وقع منه ذلك قام صاحب الترجمة يدعو الناس إلى جهاد سلطان الهند ودفعه عن مدينة سلطان العجم التي قد أشرف على أخذها، فتبعه جماعة وخرجوا من المدينة وهو أمامهم، فهزموا جيوش سلطان الهند وتبعوهم وأخرجوا من قد كان منهم في مدائن العجم حتى أخرجوهم من بلاد العجم، ثم رجعوا إلى المدينة، فصار صاحب الترجمة المتكلم في مملكة العجم. وما زال أمره يقوى حتى خلع السلطان العجمي المذكور سابقاً، وبعد ذلك غزا بلاد الهند مكافئاً لهم بما فعلوا في بلاد العجم، ووقع منه في بلادهم من القتل والأسر والنهب ما لا يأتي عليه الحصر، ووصف لنا أنه لما كان من الهنود ما قدمنا من القتل لأصحابه غيلة، خرج في اليوم الثاني إلى سطح جامعها وهو مكان مرتفع وحوله فسحة كبيرة من جميع الجهات، وكان لابساً للحمرة وذلك علامة القتل، ثم صعد على سطح الجامع وجيوشه حول الجامع من جميع جهاته ينظرون إليه ويرتقبون ما يأمر به، فاستقرَّ ساعة ثم أخذ سيفه وسلّه من غمده ووضعه مسلولاً، وصاح الجيش صيحة واحدة وشهروا سلاحهم وسعوا نحو المدينة يقتلون من وجدوه. ثم استمر ذلك من

أول اليوم إلى وقت العصر، فوصل سلطان الهند وكان قد أمنه وعلم أنه لا ذنب له فيما وقع من الهنود، ووصل وعليه كفن منشور وسيف مشهور واضع له على رقبته، ثم رمى نفسه بين يدي صاحب الترجمة، وقال: أيها السلطان قد كان هلك غالب أهل المدينة، ووصل القتل إلى الأخيار ولم يقع ما وقع إلّا من جماعة يسيرة من الأشرار. فلما سمع ذلك أخذ السيف الذي قد كان سلّه في أول اليوم فأغمده في غمده، فذهب جماعة كثيرة من الباقين حوله يصيحون للجيش الذي صار يقتل أهل الهند فمن سمع الصائح رجع وترك القتل. ثم من جملة ما ذكره لنا السيد إبراهيم أن صاحب الترجمة صار لا يصبر بعد ذلك عن سفك الدماء، وصار يقتل من لا ذنب له من أصحابه ورعيته، فأجمع رأي ابن أخيه ونحو ثلاثمائة نفر من جنده على قتله وهو في الغزو، فدخلوا عليه وقد تساقط أكثرهم في الخيام من هيبته ثم قتلوه. وله أخبار طويلة.